

الدعاء المستجاب

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.. البقرة آية 186، فمن أين عباس رضي الله تعالى عنه؟ قال: قالت البيهقي كتب يسمع ربنا دعاءنا يا محمد وانت ترزع أن بيننا وبين السماء خمسائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية.. وقال الحسن: سببها أن قوما قالوا للشي صلي الله عليه وسلم: أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه؟ فنزلت، وقال عطاء وقتادة لما نزل قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾.. غافر آية 60، قال يا قوم: في أي ساعة ندعوه؟ فنزلت أي إذا سالك عبادي عن العبود فأخبرهم يا محمد أنه قريب يلبث على الطاعة ويحبب الداعي وأنه قريب من أوليائه بالأفضال والأتعام، لقد أمر الله عبياده بالدعاء وحض عليه وسماه عبادة ووعد بانه يستجيب لهم.

لعمري عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أعطيت أمتي ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء كان الله إذا بعث نبيا قال: ادعني أستجب لك. وقال لهذه الامه ادعوني أستجب لكم، وكان الله إذا بعث نبيا قال له: ما جعل عليك في الدين من حرج. وقال لهذه الامه: ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله إذا بعث نبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامه شهداء على الناس.

وللدعاء شروطه وآدابه حتى يستجيبه الله تعالى وأولها اجتناب الاعتداء للمنع من الإجابة حيث قال في آية أخرى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾، ولا يدعو الداعي يائما أو قطعية رحم وما لم يستعجل والأياكل الداعي الحرام ففي الحديث: (ما يال الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له ذلك).

وقد قال العلماء أن اجابة الدعاء لا بد لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي المدعو به، فمن شرط الداعي أن يكون علما بأنه لا يقدر على حاجته إلا الله تعالى وأن الوسائط في قبضته ومسخرة يستخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فإن الله تعالى لا يستجيب من قلب غافل لاه، وأن يكون محتجنا لأكل الحمد، ولا يمل من الدعاء.

ومن شرط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة للطلب والفعل شرعا كما قال مالم يدع يائما أو قطعية رحم فيدخل في الإثم كل ما يائمه به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومقتلهم، وأما شروط الدعاء فسبعة أولها التضرع والخوف والرجاء والرؤود والخشوع والعموم وأكل الحال.

وقال ابن عطاء أن الدعاء أركانها واجبة وأسبابها وأوقاتها فإن وافق أركانها قوي وإن وافق اجتهت طار في السماء وإن وافق مواقيته فأن وإن وافق أسبابها نجح فأركانه حضور القلب والرغبة والاستكاثرة والخشوع واجتهت الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شرائط الدعاء أربعة أولها حفظ القلب عند الوحدة وحفظ اللسان مع الخلق وحفظ النظر إلى ما لم يحل وحفظ البطن من الحرام.

وقد قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال لأن قلوبكم قد ماتت. قالوا وما الذي أمانتها؟ قال عشر خصال قالوا وما هي؟ قال عرفتم حق الله ولم تطيعوه، وعرفتم حق الرسول ولم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الاموات ولم تعثروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس فأسخطم ربكم وخالفكم فكيف يستجيب الله بعد ذلك لدعائكم.

والدعاء المطلوب في كل الاوقات غير أنه في بعض الاوقات أكبر ومن هذه الاوقات السجود وعند الأذان والإقامة وبينهما في السحر وعند جلوس الخطيب بين الخطبتين ويوم الجمعة وعند زوال المطر وعند التقاء الجيشين وفي الثلث الأخير من الليل وفي المرض وفي السفر وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وفي الصيام وليلتي العدين ويوم عرفة وهو في بعض الأماكن أجدر بالقبول في المساجد وعند قبر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وفي الروضة الشريفة وفي المسجد الحرام وفي المسجد الأقصى وفي مقام إبراهيم وفي حجر إسماعيل ولوق عرفات وعند المزدلفة. والدعاء مقبول ولكن هناك دعوات لا يرد الله تعالى وهي دعوة الصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم ودعوة المرأة إلى أخيه في ظهر الغيب ودعوة الوالد لولده أو عليه ودعوة الإمام العادل ودعوة المسافر ودعوة الغائب للغائب ودعوة الرسل والأنبياء والصالحين والدعاء باسم الله الأعظم والدعاء بالمالور من القرآن والسنة وأثار الصالحين. والدعاء تتنوع الإجابة له فقد يعطي ثمره مطلوبه وقد يرفع الله عنه به مكروها وقد يدخر له من الكرامة في الآخرة ما هو في حاجة إليه وخير دعوة هي ما أخرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للشاعة لأمته يوم القيامة فهي ثالثة أن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا.

ومن المواقف الإيمانية في الدعاء المألور أن نبي الله موسى عليه السلام كان يرعى غنم الرجل الصالح الذي استأجره (نبي الله شعيب) فنزل بها يوما في واد يقال له وادي الذئاب، ونظر حوله فإذا بالذئاب تحيط بغنمه من كل جانب وقد أدركه التعب والتصب ولم يبق على رجليها فاجتبه إلى الله يدعو دعاء المضطر قائلا اللهم أغني عني سبعة عليك وسبعة تدبيرك وتقدرت أمر أدركك وكنت حليتي وأنت تعلم أني مؤتمن عليها رعاها لي وألقي بعصاه وثام فلما استيقظ وجد الذئاب تحيط بغنمه حتى لا تشرذ منها الشاه ووجد كبير الذئاب وقد أمسك بعصاه، فقال إني وسيدى ما هذا الذي أراد؟ فقال الله تعالى يا موسى لا تعجب مما ترى يا موسى كن لي كما أريد أكن لك ما تريد.



بِحَفْظِكَ وَتَقْدُسَ لَكَ» أي تظهر أنفسنا لك.

وجبريل عليه السلام يسمى الروح القدس لمطهرته من العيوب في تبليغ الوحي إلى الرسل أو لأنه خلق من الطهارة، ولا يكلي في تفسير القدوس بالنسبة إلى الله تعالى أن يقال إنه منزه عن العيوب والتفانص فإن ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب مع الله. فهو سبحانه منزه عن أوصاف كمال الناس المحدودة كما أنه منزه عن أوصاف نقصهم، بل كل صفة نتصورها للخلق هو منزّه عنها وعمّا يشبهها أو يماثلها.

السلام

تقول اللغة هو الأمان والأمنئان، والحصانة والسلامة، ومادة السلام تدل على الخلاص والنجاة. وأن القلب السليم هو الخالص من العيوب، والسلم (يفتح السين أو كسرهما) هو السلامة وعدم الحرب، الله السلام لأنه ناشر السلام بين الأنام، وهو مانح السلامة في الدنيا والآخرة، وهو المنزه ذو السلامة من جميع العيوب والتفانص لكماله في ذاته وصفاته والفعاله.

لكل سلامة معزوه إليه صادرة منه، وهو الذي سلم الخلق من ظلمه، وهو المسلم على عباده في الجنة، وهو في رأى بعض العلماء بمعنى القدوس.

والإسلام هو عنوان دين الله الخاتم وهو مشق من مادة السلام

الذي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوائون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب إليهم السلام للعالم، والاتفاق من الأفتار (أي مع الحاجة).. افشوا السلام بينهم.. اللهم أنت السلام، ومنك السلام، واليك يعود السلام، فحينما ربنا بالسلام.

القدوس

تقول اللغة إن القدس هو الطهارة، والأرض المقدسة هي الظهرة، والبيت المقدس، الذي يظهر فيه من الذنوب، وفي القرآن الكريم على لسان الملائكة وهم يخاطبون الله «وَنَحْنُ سُبْحٌ

الله تعالى الملك المستغنى بذاته وصفاته وأفعاله عن غيره، المحتاج إليه كل من عدا، يملك الحياة والموت والبعث والنشور. والملك الحقيقي لا يكون إلا الله وحده، ومن عرف أن الملك لله وحده إني أن يدل لخلق، وقد يستغني العبد عن بعض أشياء ولا يستغني عن بعض الأشياء فيكون له نصيب من الملك، وقد يستغني عن كل شيء سوى الله، والعبد ملكته الخاصة قليلة. وجنده شهوته وغضبه وهواه.. وريته لسانه وعيناه وباقى أعضائه. فإذا ملكها ولم تملكه فقد خال

أولا.. وبالإهادية إلى الإيمان وأسباب السعادة. ثانيا.. والإسعاد في الآخرة. ثالثا.. والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعا.. الرحمن هو المنعم بما لا يتصور صور جسده من العباد، والرحيم هو المنعم بما يتصور صور جسده من العباد

الملك

الملك هو الظاهر بعز سلطانه، الغنى بذاته، المتصرف في اكوانه بصفاته، وهو المتصرف بالأمم والنبى، أو الملك لكل الأشياء،

تعالى في طباع الناس الرقة وتفرّد بالإحسان. ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى، إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة، والرحيم تستعمل في غيره وهو الذي كثرت رحمته، وقيل إن الله رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك أن إحسانه في الدنيا يعم المؤمن والكافر، ومن الآخرة يخص بالمؤمن.

اسم الرحمن أخص من اسم الرحيم، والرحمن نوعا من الرحمن، وأبعد من مقدور العباد فالرحمن هو العطوف على عباده بالإيجاد.

المؤمن يحب الله ورسوله

ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن ولا عليه أن يستمتع بزيئة الله والطيبات من الرزق في غير الفكر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون × قل أن كان أبواؤكم وإبنأؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الظالمين».. سورة التوبة الآيات 23 و24.

تلك هي عقيدة الإيمان وذلك لمها وجوهها، أنها لا تحتمل لها في القلب شريكا، فاما تجرد لها وإما إشلاخ منها.

وليس المقصود انقطاع المؤمن عن ذي رحمة، بل إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب ويخلص لها الحب وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة وهي الحركة والدافعة فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة على أن يكون مستعدا ليتزما كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

ومعترق الطريق هنا هو إما أن تسيطر العقيدة أو يسيطر المتاع وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة أو لغرض من أغراض هذه الأرض فإذا اطمان المسلم إلى أن قلبه خالص لعقيدته فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالآباء والإخوة والعشيرة.

يقول رب العزة في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ وَأَخَوَانِكُمْ أُولِيَاءَ إِنِ اسْتَحْبَبُوا الْفَكْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ × قل أن كان أبواؤكم وإبنأؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الظالمين».. سورة التوبة الآيات 23 و24.

تلك هي عقيدة الإيمان وذلك لمها وجوهها، أنها لا تحتمل لها في القلب شريكا، فاما تجرد لها وإما إشلاخ منها.

وليس المقصود انقطاع المؤمن عن ذي رحمة، بل إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب ويخلص لها الحب وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة وهي الحركة والدافعة فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة على أن يكون مستعدا ليتزما كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

ومعترق الطريق هنا هو إما أن تسيطر العقيدة أو يسيطر المتاع وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة أو لغرض من أغراض هذه الأرض فإذا اطمان المسلم إلى أن قلبه خالص لعقيدته فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالآباء والإخوة والعشيرة.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَ اللّٰهَ لَا يَغْفِرَ ٱلَّذِينَ يَشْرِكُوهُ بِمَا ٱشْرَكُواْ مِن دُونِ ذَٰلِكَ إِنَّهُمْ يَبْغِىءُ ٱلْحَرَمَ ٱلَّذِى ٱللهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةُ وَمَآوَاهُ ٱلنَّارُ﴾. قال تعالى: «أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار.» والآيات في ذلك كثيرة، فمن أشرك بالله مات مشركا فهو من أصحاب

أكل مال اليتيم

قال تعالى في شأن أموال اليتامي

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾. بمبادرة قبل بلوغهم، ثم قال تعالى: «ومن كان غنيا فليستعفف

ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف».

قال العلماء: فكل ولي ليتيم إذا كان فقيرا فاكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحة، وتنمية ماله فلا يأس عليه، وما زاد على

المعروف أربعة اقوال:

الأول: إنه الأخذ على وجه القرض.

والثاني: الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

والثالث: إنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملا.

والرابع: إنه الأخذ- عند الضرورة - فإن أبسر قضاء، وإن لم يوسر فهو في حل.

حكى عن بعض السلف قال: كنت -في بداية أمري- مكيا على المعاصي وشرب الخمر، ففكرت يوما بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسننت إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام، وأزلت شعته، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر، فبت ليلة بعد ذلك، فرايت في النوم أن القيامة قامت، ودعيت إلى الحساب، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي.

فصحتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار، وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرونني سحبا إلى النار. وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني في الطريق، وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي، فإنه قد أحسن إلى وأكرمني، فقالت الملائكة: إننا لم نؤمر بذلك، وإذا النداء من قبل الله -تعالى- يقول: «خلوا عنه فقد وهب له ما كان منه بشاعة اليتيم وإحسانه إليه».. قال: فاستعقلت وتب إلى الله -عز وجل - وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى اليتام.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «صنائع المعروف: تقى مصارع السوء وصدقة السر: تطفى غضب الرب، وصلة الرحم: تزيد في العمر».